

- (١) والعصبات هم المرتبطون بالقرابة من جهة الذكور^(١). واما الذين لم يرتبطوا بالقرابة إلاً بأنثى فهم أولوا الارحام^(٢)
- (٢) ان شريعة الالواح الاثني عشر تقسم العصبات اوصياء متى توفي من له حق الايضاء ولم يبق وصياً
- (٣) تبطل حقوق العصبه بكل نوع من انواع تغير الحالة . وليست كذلك حقوق ذوي الارحام

الفصل السادس عشر في تغير الحالة

- نقص الاهلية هو تغير الحالة . وهذا إما كبير او متوسط او صغير
- (١) تغير الحالة الكبير يأتي عن حرمان حقوق الوطنية وزوال الحرية
- (٢) تغير الحالة المتوسط يتسبب عن حرمان حقوق الوطنية مع بقاء الحرية
- (٣) تغير الحالة الصغير يتسبب عن تغير بسيط يطرأ على العائلة

خطر علينا وعلى الدين

تمهيد

الحق ضالة العتلى التي يشدها ونجته التي يرتادها وانما تناوت العقول في معرفة الحق تفاوتها في مراتب الرقي وتباين في تعيينه تباينها في العلم . لهذا لا تجد فائلاً فولاً او متجلاً تجللاً او مرتبياً رأياً الاً ويؤمن انه على حق . ومن ثم كان من العدل ان لا يؤخذ على قائل ظنه انه على حق الاً اذا قامت الادلة وتجلت البراهين على انه على غير الحق واصر على ما قام في نفسه مع وضوح انه على غير حق

كتب خضرة الفاضل صاحب مقالة "خطر علينا وعلى الدين" في المقتطف الماضي ما يعتقد انه حق ولا اعتقاده ان الحق في بادى الامر يصادم الاسماع مصادمة ويقارع النفوس مقارعة كان كمن يقدم قدماً ويؤخر اخرى انقاء المواقفة من عمرو والانتقاد من بكر : عادة فيها الناس في مقابلة كل قول جديد لم تألفه النفوس ولم تدمن عليه الاسماع

(١) في كتب الفرائض الاسلامية « العصبه ذكر » لم يدخل في نسبه الى الميت اثني

(٢) الارحام جمع رحم وهو قريب ليس بعصبه ولا ذي سهم

اجل ان العاقل لا بد ان يستهدف لللام ويحناط لرفع السهام لكن ينبغي له مع ذلك ان يكون في جانب اليقين في ان موآخذيهم ايضا طلاب حق ولن يستطعموا سهما بلغوا منه ان يطفئوا نور الحق اذا الضمح لديهم ان صاحبه الحق

اذا تمهد هذا اقول : ان كاتب المقالة الفاضل انما كتب ما يعتقد انه الحق فينبغي لمن يأخذ عليه قوله ان يأخذ بانصاف ويتككب طريق الاعساف . ولن يرى رأيه وبواقفه في مذهبه ان يساجله الكلام مساجلة ويجاذب واياه اطراف البحث لاستجلاء الحقيقة ووضوح الحق الذي هو ضالة العقل وطلبة الباحثين

لهذا فانا وان كنت من شاركيه في الرأي وموافقيه فيما ذهب اليه الا اني رأيت في بعض المواضع من مقالته اغرافا ربما كان الباعث عليه ألم الكاتب مما ألم بالمسلمين . وفي بعضها غموضا يحتاج الى ايضاح للاسباب وافصاح عن المقاصد فتمت بهذه الرسالة لطلاق البيان والتفسير لا للمواخذة والتكبر . راجيا من حضرة الكاتب الفاضل موافقي على ما يرى انه الحق ومن القراء الكرام نصره الحقيقة وعدم التسرع الى العذل فاقول جوابا عن مقدمته الاولى
نحن والدين

ابان الكاتب في هذه المقدمة عن لزوم استناد الامة في نهوضها الى الناصحين والمرشدين وذكر ما دب في نفوس المصريين من روح النشاط الى الدخول في دور من ادوار الحياة جديد وان الامة تبع في هذه الخلال للصحاء والمرشدين . ثم تطرق من ذلك الى النظر في وجهة اولئك الصحاء وهل هي مما يقيد او لا . ثم ذكر الوجبة التي اتجه اليها الصحاء وانها مقصورة على الدين . وافاض فيما اتشر لهذا العهد بين الامة واستفاض على السنة كتآب والمؤمنين واقلامهم من القول في ان علة تأخرنا وانحطاطنا ونقدنا وارتقاينا هو الدين فتركة والجري على خلافه ما علة ما نحن فيه . والعمل به هو الدواة الثاني من كل ما اصابنا من الامراض . ثم قال ان هذه النصيحة وتلك الضروء القائمة بين المصريين في الارشاد الى النهضة النافعة كلها موجهة الى الدين وبالدين ومن الدين

ساق الكاتب هذه المقدمة على اسلوب جميل مقبول للعقل مشعر بحسن النية وقال ما شاء ان يقول واجاد في القول فلا ينكر عليه الا اغراقه في بعض المواضع لاسيما في تهمة مطي ابناء الامة الذين لو صح انهم انما جملوا الدين هو القدوة التي يفرسونها في الازهان لكان ذلك حسن ظن . منه ينبغي لاولئك الحلين ان يقابلوه بالذكرا ان المعروف انهم ليسوا هناك وانما فيهم افراد نعرف بعضهم يشون في الناشئين روح الدين على وجه معقول لا يتجاوز

حد الحاجة ولا يبين تربية الاخلاق على النضيلة ولو حدا حدوهم امثالهم من المعلمين لكأن ذلك نافعاً للناشئين

واغرق في تهمة الشعراء وانما هم طلاب خيال وابعد الناس عن قيل وقال
واما المؤلفون والكتاب وارباب الجرائد والمجلات الذين جعلوا الدين وتراً يدقون عليه .
وإذا تفرقت بهم المذاهب اجتمعا اليه . فقد اجمل في الاشارة اليهم اجمالاً اندمج فيه الصادق
والماتن والذي يعلم الحق ويقول به والذي لا يعلمه . وانما التبت عليه الحقيقة وصعب عليه
التفريق والتعيين لكثرة ما يقرع سمعه واسماع الناس كافة لهذا العهد من قوارع الدين من
الكتاب والمحرمين والحقيقة او الحق معني بين هذه الضوضاء القائمة لا يبادي به الا التزور
اليسير ولا يستطيع تمييزه وتناوله الا القوي المتين . ولما كانت هذا اللعل هو محل النظر
والمناقشة ويلزم التبسط فيه فقد رأيت بياناً للحقيقة الفائتة ودفعاً لثب النفوس ان اقول فيه
كلمات لا تخلو من فائدة واليك هي

كثير لفظ الناس في هذه الآونة باسم الدين كما قال حضرة الكاتب وعلت صحبة
الجرائد وارباب الاقلام فاخطلت الاصوات على السامعين حتى لم يعد يصل الى آذانهم سوى
اسم الدين فما الباعث على هذا كله وما الذي يريده الصائحون ؟ هل هو خير الامة
وسعادتها كما يقولون ؟

أجل قام في الامة افراد اطالوا في حال الامة النظر واطلقوا لانفسهم عنان التأمل في
ماضيها وحاضرها فرأوا ان كل ما اصابها من الانحطاط انما كان من جانب الدين بما دخل عليه
من شوائب الوضع المختلف باختلاف الواضعين واغراضهم مما لا يسع التمام بسطه وتعداده
فأروا ورأيهم الحق ان قيام الامة من هذا الخيض واصلاح حالتها الاجتماعية اصلاحاً
ينهض بها الى مصاف الامم الحية النامية مدنية وعلمية لا يتأتى الا باصلاح الدين في امة
تأصل فيها الاعتقاد ان كل شيء بالدين وبتهذيبه من شوائب البدع التي الصفا به المتدعون
ظلمة وعدواناً . وان الاصلاح اللدني تابع في مثل هذه الحال للاصلاح الدهني . اذ ما دام
المرء مأسوراً للعوائد مستمسكاً لما يعتقد أنه من الدين وان كان ما يعتقد مضرراً لظاهر الاثر
عليه شاهداً له انه ليس من الدين فقل ان يبتدي الى التملص من حبال الخمول بالتزور عما
ورثه من اجيال طوال من الاعتقادات الباطلة والعوائد القاتلة . والشواهد على هذا كثيرة
يكفي ما ذكره منها حضرة الكاتب في مقدمته الثانية
وأراد ذلك ونادوا به على ملائمة الناس اعتقاداً منهم بان فيه خير الامة وهووضها من العثرة

الماضية ولكل مصطلح عدو بل كل الناس اعداء للمصلحين لان المصلح يريد مصادرة الناس في عوائدهم ويريدون البقاء عليها وشتان بين الامرين . فقام من الناس من بناهضهم مناهضة الحامي بزعمه عن الدين وانما هم يحامون عن الموائد والبدع والمبتدعين والمصلحون يتلون بالحجة ويأتون بالدليل تلو الدليل رجاء الوصول الى الغاية والتكهن مع الزمن من تطهير العقول من ادران التعصب للعادة والادمان على الجهالة . ورأى فريق آخر نزوع العامة الى جانب المناهضين فنبه لا تتهافت الفرصة وجرّ المغنم والسعي وراء الشهرة فنادى : الدين الدين : وهو لا يعرف من الدين الا الفافغا يلتقطها من افواه المتناظرين ومن ثم كثرت الجلبة باسم الدين واختلط الامر على السامعين وكان ما نراه ونسمعه مما يظنه حضرة الكاتب مضرا بالمسلمين وعندى انه نافع لان الحق كما قلنا خالصة العقل التي ينشدها ولا بد مع توالي البحث والجدال وطول التعليل والقال من تحييص الحق وظهوره للعقل في اجلي مظاهر الكمال والاخذ به رضي او لم يرض اهل الخصام والجدال

هذا تفصيل ما اجمل فيه حضرة الكاتب في شان المنادين باسم الدين ومنه يعلم انهم اقسام منهم قسم المصلحين ومنهم قسم المجادلين الكافرين ومنهم قسم المقلدين وهؤلاء هم شر الناس على الناس وهم بعينهم الذين ينطبق عليهم قول حضرة الكاتب " ما جد في البلاد حادث ولو كان تافها لا يتلفت اليه فرد عاقل فضلا عن امة فضلا عن دين يجمع امما الا وسبقته كلمة الدين ثم لا تزال تتبعه هذه الكلمة حتى يقبر في زوايا النسيان ويكون آخر ما يشيعه الدين " رب قائل يقول ما اغنى هؤلاء المصلحين عن اصلاح الدين واحرام بالدعوة الى اصلاح

امر الدنيا وبيان وجوه الخير والسعادة التي نتم بها سعادة الامم الراقية التي نبذت الدين فالجواب عن ذلك ان المرض انما يزول بزوال سببه واذ علمنا ان سبب انحطاط المسلمين اتخاذهم البدع والموائد دينيا وهي ليست من الدين واستسلامهم بسبب ذلك للرضاء وجدوا عليه آباءهم الاولين لزمانا ان نسعى بازالة السبب ومتى زال ونشطت العقول من عقال الامر للموائد والاغراق في الاستسلام لكل ما يقال انه من الدين حتى وقتئذ على العقلاء والمصلحين ان يحولوا وجهتهم الى الاصلاح المدني اذ يجدوا يومئذ كل الامة آذانا مصغية لما يقولون وقلوباً واعية لما به يتلقون

ليس هناك دليل على ان الاصلاح المدني تابع للاصلاح الديني اعظم من مراجعة تاريخ أوروبا قبل منتصف القرن السادس عشر وبعده اي قبل ان تظهر دعوة الاصلاح الديني وبعد ظهورها اذ كان الفرييون قبل ذلك الحين مغلوبوا الايدي الى الاعناق مستغرقين في

سيات الوساوس قد بسطت عليهم السلطة الدينية يد القوة والقهر لتصادروهم بالعلم والحرية باسم الدين وتمتعهم من الثغرات من شرك العوائد وحائل الاخلاص الى وساوس زعماء الدين كما هو حاصل الآن مع المسلمين . ولما قام المصلح المسيحي الكبير لوثيرس ودعا قومه الى ترك البدع الدينية وتطهير العقائد من شوائب الحشر القائلة للعقول وقع من اللفظ في اوربا وقام من الضوضاء بين الخاصة والغرضاء عين ما هو قائم عندنا الآن ثم كانت العاقبة للمصلحين ونفذ صوت الاصلاح الى اعماق القلوب ومن ثم اخذت تنتق احكام العقول عن ذلك الزهر الكامن فيتمتع نواره وينتشر عرفه واشرفت على النفوس انوار الحقائق فاندفعت في سبيل الرقي العلمي وما زالت في صعود حتى بلغت لهذا العهد اقصى ما ترمي اليه مقاصد الانسان . فكان الاصلاح المدني الاوربي الذي انعكس شعاعه على كل الآفاق نتيجة الاصلاح الديني كما كان الاصلاح السياسي نتيجة الثورة الفرنسية الشهيرة

الاصلاح الديني في اوربا افاد المدنية والدين : افاد المدنية باطلاق العقل من قيود السيطرة الجائرة ببلغ من العادة الدنيوية ما اراد : وافاد الدين بتطهيره من شوائب المتدعين حتى تلتفت العقول بالقبول وصار الدين في كل الممالك التي ساد فيها مذهب الاصلاح قوي الدعائم قائما على الحق والفضيلة لانه من الكتاب وهذا لا يستكره الا النفر القليل من كل قبيل بينما يرى ظله منقلبا من جهة تانية شيئا فشيئا عن ممالك اللاتين لا سيما مملكة فرنسا حتى نبذ جهور كبير من الناس كما اشار الى ذلك حضرة الكاتب في آخر مقالته . وفي هذا عبرة للمتبرين

ميراثنا الديني

اجل الكاتب في هذه المقدمة في الكلام على ما ورثناه من اسلافنا من الميراث الديني اجمالا ادع فيه كل ما يخالف ضمائر الناقبين من استسلام الامة لكل ما قيل ويقال انه من جانب الدين وان كان من جانب الجهل بجاهية الدين . ولما كان اكثر ما ورثناه مما ليس من الدين لم يكن موجودا في عصر صاحب الرسالة (ص) ولا في عصر الصحابة وانما وجد تدريجيا ولكل بدعة وجدت تاريخ يرجع اليه ومصدر صدرت عنه ثم صارت من الدين فقد احييت ان لم يشهد من تاريخ هذه البدع ومصدرها لعلم القاري كيف تسربت الوثنية الى الدين وكيف الصق كل شيء بالدين فاقول

بدأ الاسلام على ما يعلم من تاريخه بالدعوة الى التوحيد الذي هو اساس الاديان الالهية والكشف الوافي من تسلط كل ماله صلة بالمادة على العقول البشرية ثم انزل القرآن بما

يفترض على الموحّد من العبادات وبما يحتاجه من الاحكام في المعاملات فكان الرجل اذا اراد الاسلام بُلغن كلمة التوحيد ويعلم اركان الصلاة ويؤمّر بحفظ شيء من القرآن الكريم ويقال له هذا هو الاسلام ولم يعهد في عصر الصحابة تجاوز احد هذا الحد من معرفة الدين وكان من اراد من كبار الصحابة المزيد من معرفة الدين فانما كان يريد التفقه فيه بحفظ القرآن لاجل ان يكون عارفاً باحكام الدين في القضاء والافتاء واما العبادات فقد اخذوها عن النبي (ص) بالمشاهدة واخذها عنهم كذلك من لم يره وكان المتفقهون من كبار الصحابة معدودين كهمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وامثالهما ولم يعهد باحد منهم الخوض بما وراء ذلك من التأويل والقال والقيل وتناول ما وراء الظاهر بالشرح والتفصيل اللهم الا ما نسب الى علي بن ابي طالب من بعض الخطب المشتملة على شيء من الالطيات وقد نوره الحافظ الذهبي بأن أكثر ما نسب اليه من الخطب موضوع وضعه الشريف الرضي . واستمر الامر كذلك بين المسلمين حتى اخلط العرب ايام الفتح بجاورهم من الامم وثنيين واهل كتاب وكانوا حديفي عهد بالاسلام سلمي النظرة وكان الدين لم يزل عَضاً طرياً والاديان الاخرى قد تمددت ومنت ونسج عليها التامجون ما شاولوا من الآراء الفلسفية والبدع العقلية فلم يلبث ان خالط العرب هذه الامم حتى بدأت في اوائل عهد التابوت تسرب الى عقولهم النظريات الدينية وتلتصق بالدين البدع الباطلة وكانت اول بدعة ظهرت فيه بدعة معبد الجنيني وغيلان الدمشقي سيف القول بالقدر ثم تبعها غيرها وغيرها . ومن دقق النظر في التاريخ اتضح له ان اكثر ما ظهر من البدع في الدين كان في موطن الوثنية لذلك العهد وهي فارس والعراق وان عمال بني امية كنصر بن سيار وغيره كانوا يطاردون ارباب البدع والمقاتلات فلا يزيدهم ذلك الا اضعافاً في الابتداع ومن هنا يعلم المدقق من اين اوتى المسلمون وان ما تسرب الى العقائد من الزيف عن مذاحة الدين الاولى انما كان من قبل الوثنية والوثنيين الذين كبر عليهم تغلب المسلمين على دولتهم وعلو شأن الاسلام في مواطنهم فدسوا ما دسوا في عقول المسلمين وتركوا لنا ما نعلم من ميراث الوثنية لا الدين وبئس ذلك الميراث المشين

اختلف ارباب المقالات بين جبرية وقدرية ومشيبة وما لا يعد من الفرق التي جمعها الاسلام وقرنتها الوثنية والابتداع فادخلت كل فرقة شيئاً من الوهن على الدين والفكر في الاعتقاد الذي يرمي الى المادة في الاكثر وهي معبود الوثنيين بين اموات واحياء واحجار واشجار وانما جاء الاسلام ليتبعي على عشاق المادة استراقهم في مظاهرها واستسلامهم لوساوسها فحوله اهلها الى المادة وكيفوه مثلاً تريد لا مثلاً يريد ثم دفعوه اليها على شكله هذا فاعتقدنا

انه هذا هو الدين وضربنا بسلاحه وجوه المصلحين
 رأى ذلك وقتل فریق آخر من الامة فهاهم ما رأوه فنادوا واغيرناه. على الدين وبالغوا
 في الانذار والتحذير وقول هذا حلال وهذا حرام وهذا عیس بالدين وهذا تقليد للوثنيين وهذا
 يشكك المسلمین حتى اخرجوا الامة بالصائهم كل شيء بالدين فالقيام والصعود والاكل والشرب
 والتخاطب والتعامل والعلم والتعلم كل بالدين ومن الدين وللدين وبالجملة لم يدعوا شيئاً من
 العوائد الا ادخلوه تحت قانون الدين

ربما يعجب القارئ اذا قلنا له ان المدنية الإسلامية التي نشرت اعلامها في عصرها على
 اطلاقين انما قامت باسم الدين وللدین ولما اخذ الدين حاجته منها بذحا علماء الدين والملك الدليل
 كل من وقف على تاريخ الاسلام يعلم ان المدنية الاسلامية انما ظهرت بظهور الدولة
 العباسية لكنها لم تبين على اساس علي صحيح الا في عصر المأمون العباسي الذي تقدم الى
 المترجمين والكتّاب بترجمة علوم اليونان الفلسفية. ويعلم كل واقف على التاريخ ايضاً ان المأمون
 كان ينزع الى مذهب الاعتزال وهو مذهب اهل الجدل الذين حاولوا التوفيق بين العقل
 والشرع برده الاسباب الى مسبباتها الطبيعية مع ارجاع الاسباب كلها الى سبب واحد وهو الله
 تعالى. ولما كان هذا المذهب اساساً العقل احتاج اهله ومن يقابلهم ايضاً الى مراجعة علوم
 الفلسفة والنظر لتدعيم مذاهبهم بقوة الجدل العقلي وفي فلسفة اليونان شيء كثير من هذا
 فتقدم المأمون بترجمة كتبهم الفلسفية واذا رأى ان الشرع في الحقيقة لا يمنع العقل عن تناول
 علوم الاكوان النافعة امر ايضاً بترجمة كتبهم الرياضية والطبيعية والطبية فترجمت هذه ولكن
 تبعاً لتلك فاخذ من هذه من اخذ لبناء صروح المدنية واخذ من تلك من اخذ للباحث الدينية
 التي يسمونها علم الكلام وتكون مع الزمن من هذه العلوم مدنية تناسب الوقت ويرجى منها لو
 طال عليها الزمن بلوغ الكمال ولكن يا للأسف لما اكتفى علماء الدين بما لديهم منها صاحوا في
 الامة بتجريم كل علم الا علوم الدين فهدموا بلا شفقة تنفعل بها نفوسهم كل ما بناه اباؤهم
 الاولون وسدوا في وجوه الامة كل منافذ السعادة التي يسعى اليها الانسان ويريدها لتسلم القرآن
 هذا ميراثنا من اسلافنا القائرين بما بسمونه الدين. نضيفه الى ما ذكره حضرة الكاتب
 مؤيداً بالشواهد التاريخية من كثير مما تحفظه من ميراث الدين ولو اردنا استقصاء
 كل ما نبينا به من هذا القبيل لاحتاج لوقت طويل وكتاب كبير ولو انصف حملة علم
 الدين واطلقوا عنان النظر في التاريخ لرأوا ان الدين لم يوت من قبل علوم الاكوان وانما
 اوتي من قبل تلك الوثنية التي دخلت منذ القرن الاول على الدين وزعموا انها من الدين

ولنزهرها الذين عن جعله مانعاً من ترقى المسلمين وما زعموا ان الانسان انما خلق ليعيش عيشة الحيوان ولا يتناول الى تناول شيء نافع من علوم الاكوان لماذا؟ لانه يس بالدين مع انهم لا يعطون كما لا نعلم وجه مسامحة بالدين اذ ما دامت الاديان منزلة لسعادة الانسان فمن سعادة المسلمين ان يكونوا في مقدمة الامم علماً ورفقاً ووقرةً ومجداً ولكن اين من يفهم هذا ممن يعتقدون ان لا شيء في عالم الحياة الا الدين فانا لله وانا اليه راجعون

هل في النداء بالدين فائدة

«النتيجة»

كتب حضرة الكاتب في مقدماته ما كتب ثم ختم كلامه بهذه النتيجة وهي "هل في النداء بالدين فائدة" الجواب عنها كما هو مفهوم كلامي: لا. وان النداء بالدين خطر علينا وعلى الدين وضرب مثلاً على هذا بلاد اوربا وما صار اليه فيها الدين ثم مثلاً آخر بما وقر في اذهان المتعلمين من الشكوك وما توارد على خواطرم من الوسواس والظنون بسبب ما صار اليه الدين مع كثرة من ينادي "الدين الدين". ثم افاض في هذا الباب وجال في ميدان الكلام ما شاء ان يحول فقال اتنا نوشك ان نضع في ديتنا كما صنعت بدينها اوربا من قبل وانا مع معرفتنا بما تلبس بديننا من التقاليد السخيفة تكاد اصواتنا تبع في النداء به وطلب الاسترشاد بقواعدهم الى آخر ما قال مما يدل على سلامة قصد وحيرة ربما كان سببها كما قدمنا كثرة ما قيل ويقال في الدين. ولست اريد هنا ان اتبع كل ما قاله في النتيجة لان هذا يوجب ملل القاري، ويضيق عنه مقام المتكطف الاغروا انما اتول ان كلامه فيها يعروه اللبس اذ لما تكلم في المقدمات كلاماً اجمالياً على المنادين بالدين وما صار اليه حال المسلمين لم يتمكن في النتيجة من اخراج الحق من حاصرة الباطل واطلق في الحكم اطلاقاً لا يؤخذ منه نتيجة توفق بين طرفي الافراط والتفريط الواقع فيهما المسلمون. واخطا من فهم ان المنادين بالدين كلهم يدعون الى التمسك به على ما دخله من الحشو واللغو المضر لا النافع للمسلمين. على انه مهما رأى واعتقد في هذا الباب ما يخالفه يخالفنا في ان الدين كما قدمنا مظلوم في آفة ما نسب اليه وانه اصبح مزيجاً من اديان كثيرة قد رشح في اذهان سواد الامة ان ذلك المزيج هو الدين وان هذا الدين الجديد هو الذي اخذ بالامة الى مهاوي الجهل والتقهقر وان لا بد لاستئصال شافة هذا الاعتقاد من النداء باصلاح الدين لا النداء بالدين مطلقاً كما ظن حضرة وقال ان النداء بالدين كان ولم يزل ولم يستفد منه المسلمون الا الاغراق في التعصب والجهل اذ نحن معه في هذا الرأي وكل غافل ايضاً يعلم ان الدين على ما هو عليه الآن مدعاة لزواله وشقاء